

# دور السياحة المستدامة في الإدماج والمحافظة على التراث المعماري في الانوية القديمة

## دراسة حالة التراث المعماري لقصور منطقة الزيبان

**بوزاهر سمية**

أستاذة مكلفة بالدروس معهد الهندسة المعمارية،

جامعة محمد خيضر، بسكرة

lalouanisoumia@yahoo.fr

**د. علقمه جمال**

أستاذ محاضر معهد الهندسة المعمارية،

جامعة محمد خيضر، بسكرة

dj.alkama@voila.fr

### ملخص :

هذه الورقة البحثية تعتمد أساسا على تقديم السياحة كمحرك أساسي إلى جانب عدة عوامل أخرى، للحفاظ على النظام البيئي الهش المتواجد بالصحراء الجزائرية عامة ومنطقة الزيبان خاصة، حيث نتناول في الجزء الأول من البحث أهم المفاهيم النظرية للسياحة البيئية الصحراوية، ثم نقدم خصائص ومقومات السياحة البيئية، ونقدم بعد ذلك خصائص منطقة الزيبان وأهم التجمعات العمرانية المتواجدة بها ونتناول بالتحليل والإستقراء العناصر التي شكلت العمران المستدام لهذه المنطقة، ثم نقدم في النهاية السياحة كوسيلة لإحياء العمارة المحلية في الزيبان. أخيرا نتبعها بتوصيات نظرية وأخرى عملية تعتمد على نتائج المفتاحية.



## المقدمة :

إن التنوع البيئي يتميز بالدور المهم في تشكيل مجموع الواحات ذوات النظام البيئي الحساس وهذا راجع إلى طبيعة المناخ الصحراوي، يبرز هذا الدور في تنوع وتشكيل المحيط المبني أي العمارة والعمران.

رغم هذه الأهمية إلا أن أدوات التهيئة والتدخل العمراني كانت دائماً محدودة المردودية في المحافظة عليه، مما أدى إلى وقوع التراث المعماري، العمراني والثقافي في أزمتين وبالتالي العديد من القصور والأنوية العمرانية العتيقة آلت إلى الإنحطاط والإختفاء.

قصد تحقيق مستوى معين من التطور والإدماج في الإقتصاد الوطني قرر عدد كبير من الدول استعمال التراث المعماري والعمراني كمادة أولية سياحية، وبالتالي تبني استراتيجيات للتنمية المستدامة تعتمد على الموارد المتاحة محليا وإقليميا وهذا للعمل على تطوير الإقتصاد الوطني من الداخل نحو الخارج، يمنح الإقتصاد الوطني ميزة داخل الأسواق الدولية.

لذا يجب التفكير في وضع مقاربات متوافقة من السياحة تخدم الموارد المتوفرة محليا وتأخذ بعين الإعتبار مشاركة الجماعات المحلية والحركات الإجتماعية للمنطقة، وعلى ضوء هذا تشجع المنظمة العالمية للسياحة على اقتراح برامج للتهيئة السياحية المستدامة للنظم البيئية الواحية من أجل المحافظة على التراث العمراني وإعادة إدماج القصور في النظام التعميري الحديث.

وعليه يمكن طرح الإشكالية التالية: كيف يمكن للسياحة المستدامة في المناطق الصحراوية أن تحافظ وتعيد إدماج القصور الأنوية القديمة في خدمة الإقتصاد الوطني؟

نفترض أن إعادة إحياء وتهيئة المسارات السياحية في منطقة الزيبان- التي تعتمد أساسا على توزيع الأنوية العمرانية العتيقة بمحاذاة الأودية والواحات- ويسمح لنا بوضع استراتيجية جديدة للمحافظة على التراث العمراني وخلق لا مركزية عمرانية.

### ١.١. السياحة الصحراوية أو السياحة في الصحراء:

إن السياحة الخاصة بالمناطق الصحراوية على علاقة وطيدة مع إشكاليات هذه المناطق، كالظروف المناخية القاسية (حارة جدا صيفا أو باردة جداً شتاء) و كالتغير الفصلي المتواجد بقوة في هاته المناطق وكذلك ظروف الولوج إليها التي ليست سهلة دائما. وبالتالي فنوعية السياحة التي يمكن إن تمارس تبقى جد خاصة ولا تستطيع أن ترضي الكل. إن أشكال السياحة المتوافقة بشكل جيد والمنتكيفة مع احتياجات الشعوب المحلية ومع حساسية وضعف الأوساط المعنية هي كالتالي:

السياحة البيئية، السياحة المتضامنة أو المتوازنة، السياحة الثقافية والسياحة الفلاحية. هذه الأشكال هي الأقرب بسلوكها ولكنها تختلف في العروض (Nadia BENYAHIA, Karim ZEIN, 2003).

### ٢.١. السياحة البيئية:

إن تصريح كيبك حول السياحة البيئية ينص على أن: ”السياحة البيئية تحتوى على مبادئ السياحة المستدامة فيما يخص تأثيرها على الاقتصاد المحلي الوطني للمجتمعات ومحيطها كما تضم السياحة البيئية مبادئ خاصة تميزها عن المفهوم العام للسياحة المستدامة. (DÉCLARATION DE QUÉBEC, le 1er novembre 2003)

تمثل أحد أندر أشكال السياحة التي في خضم بعض الشروط تستطيع إن تساعد على حماية المناطق الطبيعية والثقافية بفضل برامج الثقافة التي تحدثها وتمولها. كما يتوجب عليها احترام مبادئ التنمية المستدامة فيما يخص المحافظة على: المحيط، المجتمعات، الثقافات والاقتصاد المحلي. (Nadia BENYAHIA, Karim ZEIN, 2003).

وبالتالي السياحة المستدامة البيئية هي طريقة عمل سياحة مؤسسة على الرغبة في استكشاف الطبيعة واحترام و حماية وتثمين الموازنات الطبيعية والثقافية والشعوب المحلية حيث تمارس. وتسمى أيضا السياحة الخضراء والسياحة الإيكولوجية التي تهدف مبدئيا إلى حماية الطبيعة والنظم البيئية كما تهدف إلى مقارنة التنوع البيئي بكل ما يحمله من حياة و عمارة و عمران و ثقافة.

هذا النوع من السياحة يجب أن يأخذ على عاتقه تربية و تغيير المجتمعات المضيفة و المستضافة كما يجب أن يساعد على الأخذ بعين الاعتبار الموروثات الطبيعية والثقافية ك رأس مال للمجتمعات المحلية ويحفزهم على ضرورة المحافظة عليها و حمايتها. (Organisation mondiale du tourisme, 2002)

#### ١,٢,١ خصائص و مقومات السياحة البيئية:

تجمع السياحة البيئية كل أنواع السياحة المتمحورة حول الطبيعة و التي تحتوي على أهم محفزات السائح. و تتمثل هذه المحفزات في مراقبة و تقدير الطبيعة و الثقافات المحلية ك طريقة العيش و مجالات الحياة كالعمارة و العمران الخاصة بهذه المناطق (Site & 2003, ZEIN Karim, BENYAHIA Nadia <http://fr.wikipedia.org>)

- يتم تنظيمها عموما بواسطة مؤسسات محلية صغيرة لمجموعة محدودة من السياح و المسافرين. كما نستطيع إن نجد أيضا عملاء أجنبى على مستويات متغيرة ينظمون و يسيرون و يسوقون للمسارات السياحية البيئية و دائما لمجموعات ذات عدد محدود. وهذا يشجع على خلق تنمية مستدامة بخلق مناصب العمل و إدماج المجتمعات المحلية في حماية مناطقها و جعلها مصدر رزق.

- يوفر حماية للمناطق الطبيعية بتوفير محاسن اقتصادية لمناطق الاستقبال و المنظمات و الإدارات التي تسهر على حماية هذه المناطق بالقيام بصفة متواصلة بتوعية السكان و السياح على حد سواء بأهمية الموروث الطبيعي و الثقافي.
- تقسيم الفوائد و الأرباح الاجتماعية و الاقتصادية مع الشعوب المحلية بالحصول على موافقتهم و مشاركتهم في تسيير هذا النشاط.

و بالتالي سترفق السياحة البيئية بنتائج و مخلفات سلبية محدودة جدا على المحيط الطبيعي و الاجتماعي الثقافي.

#### ٢,٢,١ مبادئ السياحة البيئية:

تعتبر جزء رئيسي للسياحة في المناطق الهشة مثل الواحات و الصحاري، فهي تضم المحاسن التي ظهرت بوضوح خلال القمة العالمية المنعقدة في كيبك ٢٠٠٢ التي تثبت أن السياحة البيئية تلم بمبادئ السياحة المستدامة بضم المبادئ التالية التي تميزها عن السياحة المستدامة :

- على مستوى المحيط الطبيعي تقلل من التأثيرات السلبية و الثقافة المضرة بمصيرها كما تساهم بفعالية في حماية التراث الطبيعي و الثقافي و المعماري. تؤدي جيدا خلال السفر الفردي و أيضا خلال السفر المنظم في المناطق الهشة.
- على المستوى الاقتصادي .

- تشجيع استعمال البنية الفوقية المطورة بتوافق مع المحيط حتى يقلل استعمال الطاقة المحافظة على النبات و



الحيوان المحليين و التأثير بالمحيط الطبيعي و الثقافي.

• ياطر أهمية الأعمال المسؤولة عن طريق العمل المشترك مع السلطات والشعوب المحلية لتلبية الاحتياجات المحلية و توفير تخفيضات للمساعدة على عملية المحافظة .

• توظيف العائدات المتحصل عليها من السياحة للحفاظ على تسيير المناطق الطبيعية و حمايتها.

على المستوى الاجتماعي.

• تلزم السياحة البيئية سفريات لجماعات صغيرة وهي عبارة عن تعهدات و اتفاقيات مع المجتمعات المحلية بالمساهمة في برنامج المحافظة و التطور المحلي.

• تزيد من الفوائد الاقتصادية و التجارية المحلية و بالخصوص الشعوب التي تعيش داخل أو بجوار المناطق الطبيعية أو المحميات.

على المستوى السياحي.

• يتقف السياح بأهمية المحافظة.

• يقترح على الزوار تفسير التراث الطبيعي و الثقافي و المعماري.

• يصر على أهمية القطاعات السياحية و الجهوية لكل منطقة أو قطاع طبيعي معروف و قابل لأن يصبح وجهة سياحية بيئية مع تصميم مخططات تسييرية للزوار.

على مستوى البرمجة و التقييم:

• يحفز على وضع دراسات محيطية و اجتماعية و أيضا برامج مراقبة طويلة المدى لتقييم و تقليل المؤثرات.

• تؤمن على أن تطور السياحة لا يتعدى الحدود المقبولة للتغيرات الاجتماعية و المحيطية مثلما فسره الباحثين المشتركين مع المقيمين المحليين.

٣,١. وضع برنامج السياحة البيئية في الصحراء :

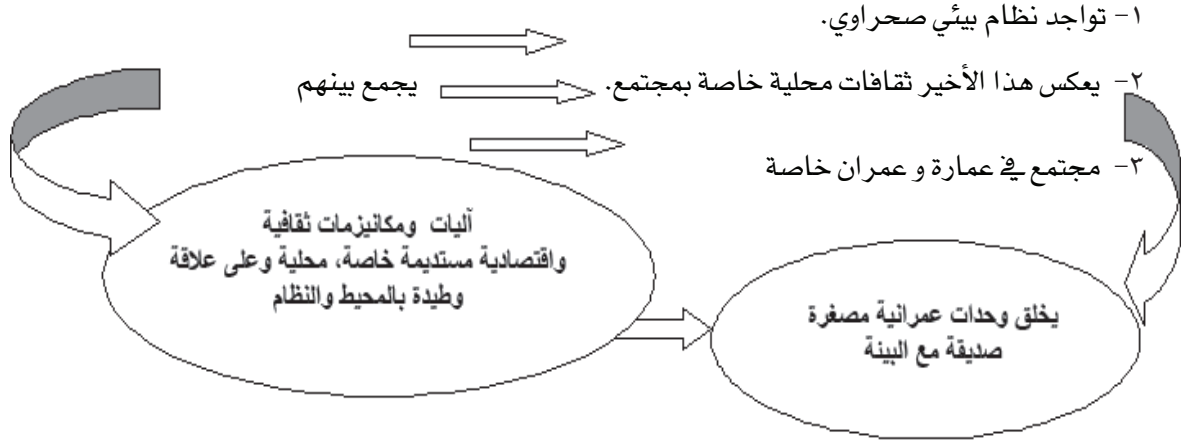
أهم المنتجات التجارية السياحية في الصحاري تعتمد بصفة كبيرة على زيارة و تأمل المناظر الطبيعية و استكشاف المواقع التاريخية و الثقافية و المعمارية. السياحة في الصحاري موجهة لباحثين عن الأصالة. إذ أنه قبل تطبيق السياحة البيئية ، ظهرت سياحة متعددة الرهانات داخل الواحات لها علاقة جغرافيا عدة بلدان صحراوية.

هناك نوعان من إن السياحة داخل الواحات تقسم بذاتها إلى نوعين متعلقين أساسا بالواحة و الصحراء وهما المسارات السياحية و السياحة في الصحراء. (Organisation mondiale du tourisme, 2006)

سياحة المسار تتميز بمدة إقامة قصيرة للسياح في الواحة الذين يعتبرونها كتحفة فهي لا تهتم بالاستكشاف و عرفة وظائف الواحة. (Aboubacar Issa, 2006) المسار السياحي يكونه منظم جيدا فالسائح ليس له أي صلة بالتراث الاجتماعي و الثقافي للمنطقة مما يقلل من الإسقاطات السلبية على الجماعات المحلية للمنطقة. و المسارات المقترحة تساهم عموما في استكشاف المناظر الطبيعية ذات الفائدة الثقافية.

#### ٤,١ أسس السياحة البيئية في الصحراء:

مما سبق كخلاصة للدراسة النظرية نستطيع أن نستنتج أن السياحة البيئية الصحراوية تعتمد و تتحقق في الحالات التالية:



لكن ما نلاحظه عن التجمعات الإنسانية في الصحراء تحت ظاهرة التصحر و النزوح الريفي يحدث إخلاء لهذه التجمعات السكانية من ملكتها السياحة تعتبر عامل نشيط للسكان في تلك المنطق مثال على ذلك رحلات منظمة في الصحراء على السيارات ٤X٤ و في المغرب التجمع بالصحراء و كذلك رحلات سياحية على الجمال في الجزائر تهيئة بعض المنازل لاستضافة السياح وتكون هذه التهيئة تعكس الهوية الثقافية للمنطقة ( بشار ) زيارات ميدانية وبالجزائر مناطق صحراوية ذات بعد تاريخي سياحي حيث أن منطقة الزيبان ألهمت الكثير من المؤلفين والكتاب مثل... إلخ و كذلك تميزت بطابع و مناخ مناسب للحركة السياحية خاصة خلال و بعد الفترة الاستعمارية.

#### ١,٢ دراسة الحالة:

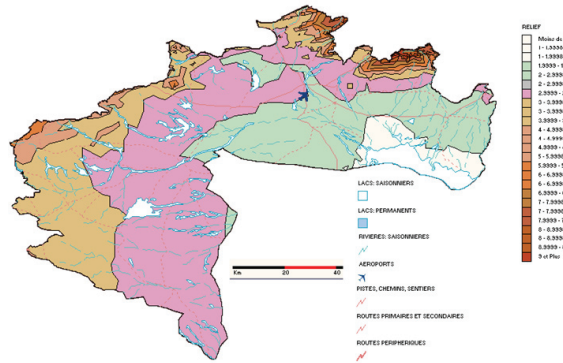
إن التسمية الأصلية لعروس الزيبان التي تعرف الآن ببسكرة ما تزال محل خلاف المؤرخين سواء كانوا عرب أو أجنب فمنهم من يؤكد أن اسمها مشتق من كلمة " فسيرة ( VESCERA ) " الروماني الأصل والذي يعني الموقع التجاري نظرا لتقاطع طرق العبور ومنهم من يرى أن التسمية الأولى هي ( AD PISCINAME ) أو " بيسينام " وهي كذلك رومانية وتعني المنبع المعدني نسبة الى حمام الصالحين إلا أن " جيزل " بيدي أقصى التحفظ فيما إذا كانت " فسيرة " قد أخذت تسميتها من بيسينام. ويرى زهير الزاهري أن كلمة بسكرة ترمز إلى حلاوة تمرها ( دقلة نور ) تلك الثمرة التي تزخر بها المنطقة.

#### ١,١,٢ الموقع الجغرافي للمناطق المصغرة " الزيبان " :

تقع منطقة الزيبان في الناحية الجنوبية الشرقية للجزائر؛ تحت سفوح سلسلة جبال الأوراس، التي تمثل الحد الطبيعي بينها وبين الشمال. بحكم موقعها الإستراتيجي تعتبر همزة وصل بين الشمال والجنوب و بين الشرق والغرب. هذا الموقع أعطاها دلالة " بوابة الصحراء " سمح خلال مختلف العصور تواجدها دور مجال التقاء أثناء موسم الحج و مجال للتبادل التجاري ( Léon l'africain, 1977 ). تشكل المنطقة جسر انتقال بين شمال مهيك و مجهز و جنوب محروم و منسي و بالرغم من هذا فتبقى من أجمل المناطق و أكثرها هشاشة بمناظرها الطبيعية و البانورامية و ببساطة تركيبها الصحراوية.



تضاريس المنطقة تنقسم إلى أربعة مجموعات السلاسل الجبلية و الهضاب العليا في الشمال والهضاب الكبرى التي تمتد حتى الجنوب الغربي ثم السهول التي تمتد إلى الشرق وأخيرا المنخفضات التي تقع في الجنوب الشرقي للزيبان (مونوغرافية ولاية بسكرة ٢٠٠٧) وهذا التنوع الجغرافي أثر إيجابا في التنوع البيئي مما أكسب المنطقة إرث ثقافي متمثل في مختلف أنواع الأنوية القديمة باختلاف عمارتها و عمرانها و كذلك الإرث الطبيعي الذي يتمثل في المناظر المتضاربة بين المناطق الجبلية إلى المناطق الصحراوية الواحية. (شكل ١)



الشكل (1) الخريطة الجغرافية لولاية بسكرة  
المصدر: Health Mapper

#### ٢,١,٢ التجمعات العمرانية للزيبان أو الوحدات العمرانية المستديمة المصغرة:

واحات النخيل تمثل عنصر التوزيع العمراني للزيبان ، حيث أنها ساهمت في خلق وحدات عمرانية صغيرة مستقلة بذاتها اقتصاديا واجتماعيا وخاصة صديقة مع الطبيعة و ذات طابع إيكولوجي. كل مجموعة من الزيبان تترأسها وحدات عمرانية أكثر منها مساحة و حجما و كل تجمع سكني يعيش على واحته و فلاحته الخاصة به (علقة جمال، ٢٠٠٥). وهذا ما يجعل من الزيبان أجود مثال على الأشكال العمرانية المستديمة في المناطق الواحية ذات النظام البيئي الهش و ذلك باحترامه لمحيطه الطبيعي و باحترام التبادلات المنفعية الإيكولوجية مع هذا المحيط (سمية بوزاهر، ٢٠٠٨)

انقسمت منطقة الزيبان فيما مضى إلى ٤ زيبان وهي : زاب بسكرة ، الزاب الشرقي ، الزاب القبلي (يلقب أيضا الغربي) (جنوب) و الزاب الظهر اوي (يلقب أيضا الغربي) (شمالا). (Colonel Niox pp 38-39 , 1890) (الشكل ٢)

الزاب الشرقي يمتد تحت سفوح جبال الأوراس و شط ملفيغ إلى وادي بسكرة ويتميز بطبيعة أكثر منها فلاحية كواحية يترأسه زاب سيدي عقبة و زاب زربية الوادي و زاب خنقة سيدي ناجي، يحتوي على حوالي ٢٥ زاب.

ثم الزاب القبلي ( جنوب) يحتوي على مجموعة من الواحات تقع على هضاب واد جدي حيث نجد تحت رمال هذا الزاب مجاري مائية جيدة مما يعكس طابعه الواحي و احتوائه على النخيل أكثر من الزاب الشرقي و يترأس هذا الزاب كل من زاب أولاد جلال و زاب سيدي خالد و يحتوي على حوالي ١١ زاب .

و أخيرا الزاب الظهر اوي ( الشمال ) يفصل بينه و بين الزاب القبلي كثبان رملية و مجموعة من السبخات. يحتوي بدوره على مجموعة من الواحات التي تسقى من المياه المنحدرة من الجبال التلية و يترأس هذا الزاب ، زاب

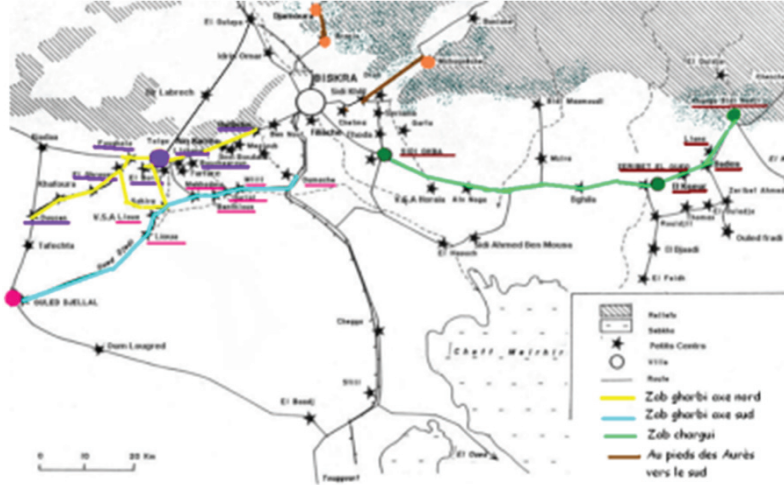
طولقة ويحتوي على حوالي ١٨ زاب.

أما التجمعات الإنسانية المتواجدة في السفوح الجنوبية لسلسلة جبال الأوراس مثل جمورة، قديلة، بن سويك والقنطرة. فتمتاز بالإضافة إلى نسبة قليلة من النخيلة بالأشجار المثمرة مثل الحوامض.

بحكم توضع و الاختلاف في جغرافية هذه الزيبان فإن هذا الأخير إنعكس أيضا في عمارة وعمران كل زاب من حيث أنماط البناء و التجمعات بالإضافة إلى مواد البناء. - وحتى شخصية ساكنها - (الشكل ٢).

### ٣,١,٢ النخيل المنشئ الأساسي لمناطق الزيبان و العنصر الرئيسي للعمران المستديم:

الزيبان جمع مفرد الزاب يعني بالأمازيغية واحة، أما ابن خلدون فيعرف الواحة بأنها ” وطن كبير يشمل قرى متعددة متجاورة جمعا أولها زاب الدوسن ثم زاب مليلي ثم زاب بسكرة زاب تهودة وزاب بادس أما زاب بسكرة أهم هذه القرى كلها ”. وقد خضعت المنطقة للاحتلال الروماني فالوندي ثم البيزنطي وتركوا آثار ما تزال تشهد على الأهمية الإستراتيجية للمدينة وطابعها العمراني المتميز.



الشكل (٢) خريطة تبين توزيع الزيبان. المصدر: الدكتور علقمة جمال، ٢٠٠٥

بحكم موقع الزيبان فقد حصلت التجارة على حصة الأسد فيها فقد ربطت بين الزيبان مع بعضها البعض و بين بقية المناطق الصحراوية و التلية هذا راجع إلى خصوبة الأراضي بالمنطقة وغناها بالمصادر المائية كذلك الانتشار الكبير للبساتين وواحات النخيل. هذه الأخيرة تمثل الخاصية الفلاحية للحياة الاجتماعية و الاقتصادية المعمارية في الزاب فهي العنصر البيئي الواحي و يلعب كل الأدوار الضرورية لقيام تجمع سكاني في الصحراء:

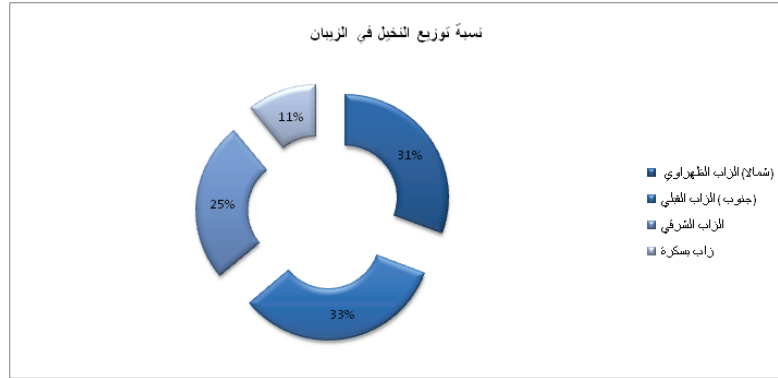
• يخلق مناخ مصغر ضروري لتطور فلاحة تحتية تصل إلى ثلاث طوابق من النباتات ( نخيل أشجار مثمرة وفلاحة بدائية).

• يمنع زحف رمال الصحراء.

• يحسن العائدات على السكان بفضل التمر و الجريد و الجذوع.

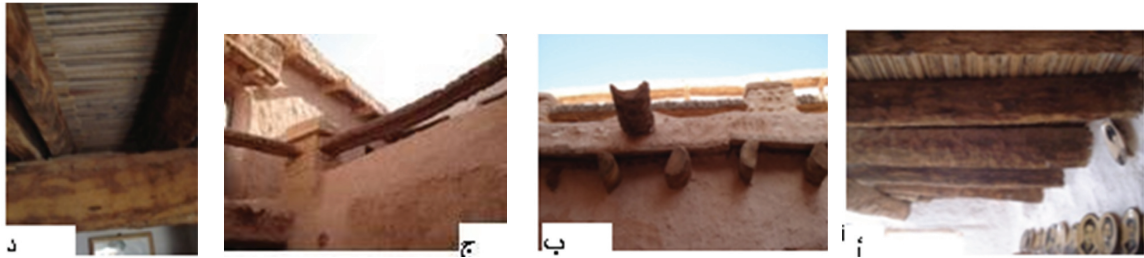
الشكل التالي يمثل نسبة توزيع النخيل في الزيبان حيث نلاحظ بعد أن كانت بسكرة عروس الزيبان بغناها بالنخيل فأصبحت تحتوي على أقل نسبة.





الشكل (٢): نسبة توزيع النخيل في الزيبان. المصدر: سمية بوزاهر حسب إحصاء مونتوغرافية الولاية سنة ٢٠٠٧

يفضل نخيلها الزيبان وعمارته تعتبر دروس في العمارة المستدامة وذلك باحترامها لمحيطها المناخي والطبيعي وباستعمالها للمادة المحلية ( النخلة ) التي تعتبر عنصر إيكولوجي صحي (Gabriel Wackermann et Gérard- 195, p.2005, François Dumont) على مستوى مخطط الكتلة فإن النخيل يكسو مساحات كبيرة مما يجعل منه غطاء أو سقف أرضي، وكاسرات شمس يصل إرتفاعها إلى ٣٠ متر تتكسر أشعة الشمس و تخلق أجواء معيشية جميلة تحت النخيل مما يحمي الأرضية ويقلل الكسب الحراري، أما النتح و التبخر يوفرا مناخ ملطف ومرطب بالإضافة إلى ذلك فالنخيل يعتبر مادة بناء أساسية للمنطقة من جذوعه إلى جريده (صورة ١).



صورة ١ أ، ب استعمال النخيل كعناصر حاملة للسقف، صورة ج استعمال النخيل كعنصر فصل  
صورة ١ د استعمال النخيل كعنصر تجميل. المصدر: سمية بوزاهر منزل الشهيد سي الحواس حول إلى متحف.

#### ١,٢,٤ الوضعية الحالية لمنطقة الزيبان:

التقسيم الإداري لسنة ١٩٨٤ يلقب الزيبان بولاية بكرة .

على مر السنين النشاط الإنساني استغل واستعمل وشكل المنطقة تاركا وراءه معالم ومراجع تطوره التاريخي؛ الزاب، الانوية العمرانية العتيقة، القصور، الدشرة بوضعياتها وفضاءاتها وتنظيماتها المختلفة هي أنماط السكن الموظفة من طرف ساكن هذه البيئة و المناطق.

وهي عبارة عن ” مساكن تقليدية تتجاوب مع متطلبات مناخية باستعمال أنماط سكنية بارعة، تبرز بصفة ذكية عمارة بيئية مناخية تعكس تنظيم وظيفي اجتماعي. ( Organisation mondiale du tourisme, 2006 p.9). و الفضاء الريفي يعد المجال الأكثر حساسية فيما يتعلق بتواجد العمارة المحلية الزابية حيث نلاحظ ظواهر التخلي و التحويل التعسفي الناتج عن النمو العمراني، النزوح الريفي، التخلي عن التجمعات الريفية وعن نخيلها والانقلابات الثقافية والاقتصادية المرتبطة بالعمولة.

وبالتالي الزيبان عمارة ونخيل يتواجد في خطورة كبيرة بسبب تدخل المواد الصناعية الحديثة المضررة بالبيئة والغريبة عن البناءات المحلية و بسبب حشو أنواع معمارية غير متجانسة و البيئة لتلبية الطلبات الخاصة بالسكن و

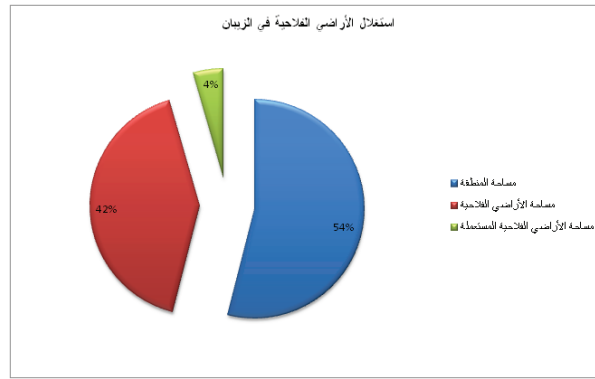


أخيرا بسبب التقلبات و التدهورات الاقتصادية الإنتاجية في الوسط الريفي ثم التخلي عن التقنيات التقليدية في البناء وحقبة الأمر أن هذا السبب نتيجة ذاك السبب. ورغم كل هذه المعطيات إلا أن الزيبان استطاعت أن تحافظ على بعض من هوياتها المعمارية العمرانية وأن تحافظ كذلك على طابعها الفلاحي. بالتالي يجب إنعاش الزيبان وذلك بوضع حد للثلاثية التالية : المدينة، النظام البيئي، و التراث. (In, politique écologie, 1995)

الشكل التالي يمثل مدى غنى الزيبان بالأراضي الفلاحية والمساحة القليلة جدا المستعملة في الفلاحة نتيجة نزوح سكان الزيبان إلى العمل في المدينة.

### ١,٣. السياحة كوسيلة لحماية وإحياء العمارة المحلية في الزيبان:

النشاط السياحي والاستثمارات الناتجة عنه يمكن أن توظف بذكاء لتربية و تسيير و دعم إعادة إحياء هذه العمارة لتجنب مساوئ التحولات البيئية و الاجتماعية الثقافية للجماعات المحلية.



الشكل (٤) نسبة استغلال الأراضي الفلاحية في الزيبان

المصدر: سمية بوزاهر حسب إحصاء مونوغرافية الولاية سنة ٢٠٠٧

بعض من الدول توجهت نحو تجارب إحياء العمارة المحلية مثلما فعل حسن فتحي في مصر (١٩٧٧) وفي نيو مكسيكو (QUILLIEN Jenny, 2008) و عدة حالات أخرى في المغرب وتونس وإسبانيا حيث حولت عمارات محلية ريفية إلى طابع سياحي. والعمارة السياحية الريفية تستطيع أن تشكل طابعها المعماري و العمراني الخاص و تخدم الوجهة السياحية و المحلية في آن واحد. إدماجها في برامج تنمية مستدامة تحترم البيئة و المحيط هي المفتاح للتعرف و تحديد سعة الإستيعاب البيئية و الاجتماعية في كل منطقة، الهدف هو المحافظة على التوازن بين السائح و السكان المحليين مع الأخذ بعين الاعتبار هشاشة مصادرها.

يجب أن يكون النشاط السياحي عامل إيجابي و إضافي في النشاطات الاقتصادية المحلية بدون أن يتحول إلى نوع من الثقافة النمطية كما يستطيع أن يكون مقوم و منشط للمناطق الخاملة.

الجدول ١: أهم المعالم الأثرية وتوزيعها عبر الزيبان المصدر: مديرية الثقافة ٢٠٠٧

البلدية	اسم المعلم	تاريخه	تاريخ التصنيف
بسكرة	بقايا حمامات	عهود قديمة	١٩٠٠
	أطلال جيمل	عهود قديمة	١٩٥٢.٠٧.١٨
امليلي	أثار جميلة	عهود رومانية	١٩٥٢.٠٧.١٨
امشونش	اخاديد امشونش	أثر طبيعي	١٩٢٨.٠١.٣٠
الوطاية	مخطوطات	عصور قديمة	١٩٢٧.٠٩.٢٦
	أثار لمدرج مسرح	عصور قديمة	١٩٠٠



دور السياحة المستدامة في الإدماج والمحافظة على التراث المعماري في الانوية القديمة  
دراسة حالة التراث المعماري لقصور منطقة الزيبان

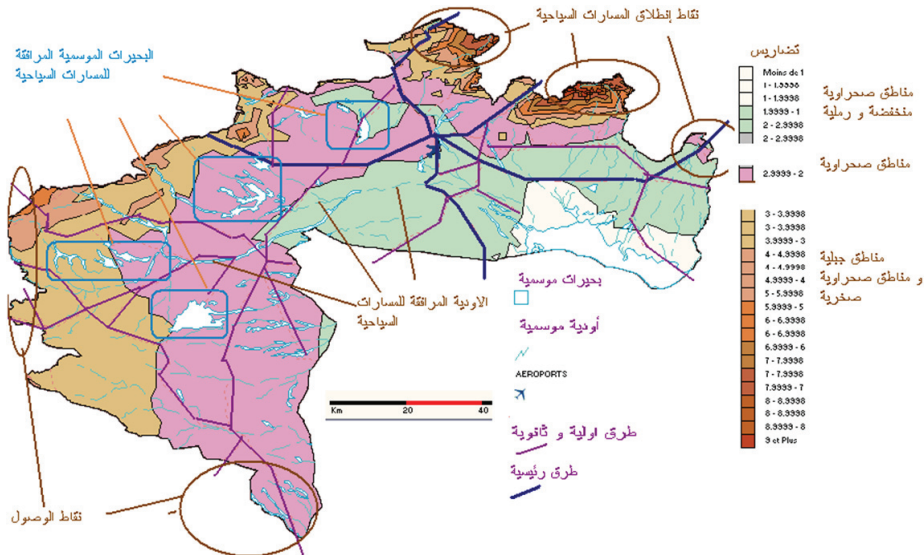
١٩٠٠	القرون الوسطى	باب مسجد عقبة بن نافع	سيدي عقبة
١٩٩٦	القرون الوسطى	مسجد عقبة بن نافع	
١٩٩٦	العهد الروماني	سد قم الفرزة	
١٩٩٦	العهد الروماني	مدينة تهودة الاثرية	
١٩٢٨.٠١.٣٠	أثر طبيعي	اخاديد سيدي مصمودي	امزيرعة
١٩٢٨.٠١.٣٠	أثر طبيعي	قرية اكباش	
١٩٢٨.٠١.٣٠	أثر طبيعي	اخاديد خنقة سيدي ناجي	خنقة سيدي ناجي
١٩٢٨.٠١.٣٠	أثر طبيعي	القرية	
١٩٢٣.٠٩.٢٦	عهد قديمة	نصب السبع مقاطع	القنطرة
١٩٠٠	عهد قديمة	الجسر الروماني	
١٩٢٣.٠١.٢٣	أثر طبيعي	اخاديد القنطرة	
١٩٠٠	عصور قديمة	تشكيلات حجرية	
١٩٩٩	عصور وسطى	مسجد سيدي خالد	سيدي خالد

١,٣. المسارات السياحية وسيلة ربط في الزيبان:

الخريطة التالية تمثل التوزيع الجغرافي الخاص بالمنطقة تتوضع عليه شبكة الطرقات، هذه الوثيقة تسمح بوضع الخطوط الأولية للمسارات السياحية وتقدم مبدئياً أهم الحقبات المشهدة للمناظر الطبيعية في الزيبان (خريطة رقم ٠٠ تقسيم منطقة الزيبان بالمسارات السياحية المصدر سمية بوزاهر برنامج (Health mapper)).

اعتماداً على تقسيم الزيبان إلى أربع ثم المحاور السالفة الذكر تقسم المنطقة إلى أربع جهات أيضاً نستطيع أن نتحصل على ثمان مناطق حيث كل منطقة لها مميزات الجغرافية الفلاحية وخاصة المعمارية والعمرانية، ترتبط هذه المناطق مع بعضها ويمكن أن تتقاطع في مناطق صغيرة مشتركة.

المسارات السياحية في الزيبان تكون هي الأساس في هذا التقسيم حيث لها قيمة تاريخية تشكل أساس الإرث الطبيعي والفلاحي، حيث تكتسب قيمتها التاريخية من الارتكاز على خطوط سير القوافل والتجار. وعليه يتوجب علينا المحاولة في الحفاظ على ترابط الانوية العمرانية العتيقة من أجل أن تكون المسارات الأخرى عناصر تمفصل وربط.



الشكل (٥) خريطة تبين توزع المسارات السياحية في الزيبان.  
المصدر: Health -Mapper تحليل واقتراح سمية بوزاهر

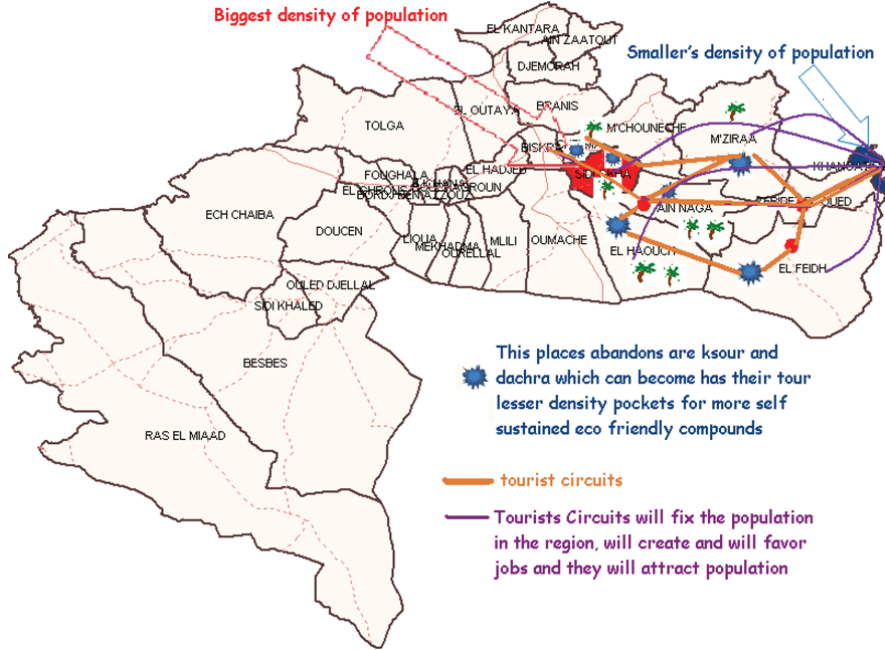
### ٢,١,٣. تحويل الأنوية العمرانية العتيقة إلى وحدات اللامركزية العمرانية:

التهيئة السياحية بإعادة إحياء العمارة المحلية تستطيع أن تتيح عدة فرص مثل استعمال مواد البناء المحلية والتقنيات التقليدية التي تشكل في حد ذاتها مورد اقتصادي محلي مهم. إجراءات استرجاع وإحياء هاته العمارة تساهم في إحياء واسترجاع دور الحرفيين المحليين (كل أنماط النشاط الحرفي). حيث يشكل الحرفيون نظام مولد لليد العاملة الحرفية المتخصصة، مشكلين بذلك منحة عمل في هاته المناطق حيث لا يوجد بديل آخر للعمل الصناعي كما هو الحال في واحات الزيبان. يستطيع أيضا الحرفيون إيصال طرق عملهم إلى الأجيال الجديدة وذلك عن طريق تجارب حقيقية في إعادة إحياء الأنوية العمرانية العتيقة. وبهذا نستطيع ان نسترجع العمل الحرفي والفلاحي وخاصة أن نسترجع النخيل كغطاء نباتي للتجمعات السكانية وكل هذا يبجل اللاتبعية والاستقلالية الاقتصادية لكل زاب ويساهم بالتالي إلى إعمار الأنوية العمرانية العتيقة كما يقلل من هجر سكانها لها ويكون محفز للبقاء وربما يكون محفز لعودة السكان الأصليين النازحين على المدينة.



صورة ٢ أ دشرة بني سويك ، صورة ٢ ب دشرة قديلة.

المصدر: سمية بوزاهر خلال خرجات علمية مع الطلبة.



الشكل (٦) خريطة تبين تحويل الأنوية العمرانية العتيقة إلى وحدات اللامركزية العمرانية بالمسارات السياحية مثل الزاب الشرقي.

المصدر Health -Mapper تحليل واقتراح سمية بوزاهر

### ٣,١,٣ المناظر الطبيعية كوسيلة لهيكله المسارات السياحية ودعم اللامركزية العمرانية:

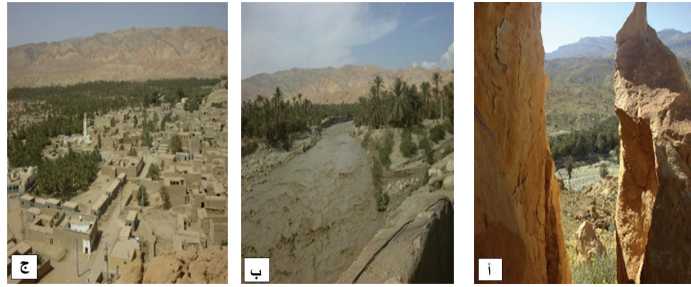
إقترحت سياحة المسارات في قلب المواقع التاريخية للعودة إلى الماضي واكتشاف تراث معماري والمعالم التي تولد الرغبة في الهروب من صخب المدينة تهيئة المناظر الطبيعية تعتمد على عدة مؤثرات: ثقافية، اجتماعية واقتصادية



وفضائية. ومعرفتهم المعمقة توفر لنا وسائل لإنجاز مشاريع للمناظر الطبيعية الحساسة وشاعرية متناغمة عوضاً عن تلقي تهيئة متباطئة ناتجة عن نسق عشوائي.

مهمة التراث الإيتلوجي استخلصت في أن المناظر الطبيعية هي بالمرّة بناء ثقافي وإنتاج اجتماعي ويصرح بأن المناظر الطبيعية جزء من التراث الثقافي الطبيعي. (Claude COURNOYER,2004)

من حيث المناظر الطبيعية للزيبان فإن المدخل من الشمال يقدم مجموعة من المناظر الجبلية والأخاديد المختلفة، كأخدود القنطرة المعروفة عالمياً وأخدود بني سويك وأخدود خنقة سيدي ناجي المصنفة إرث عالمي من طرف منظمة اليونسكو وهذه المعطيات الجغرافية تضم مجموعة من التجمعات الإنسانية ( قصور ودشرة ) لا مثيل لها حيث انه في كل تجمع إنساني عمارة مختلفة تعتمد على نفس المكونات الطبيعية من جبال، أودية و نخيل و غابات و لكن في كل منطقة تنظيم خاص بها. مما يجعل منهم نقاط إلهام للمعماريين و الباحثين. عمارة هذه التجمعات تتميز بتوسعها العمودي المائل الخاضع لخطوط تسوية الجبال.



صورة ٣ أ، ب أخذود خنقة سيدي ناجي ، صورة ٣ ج خنقة سيدي ناجي.  
المصدر: سمية بوزاهر خلال خرجات علمية مع الطلبة.

في حين الجهة الجنوبية للمنطقة تعتبر مدخل و مقدمة للصحراء بحقبات مشهدة مفتوحة على السماء و الأرض عكس الحقب المشهدة التي في الشمال فتكون مؤطرة بالجبال. العمارة في جنوب الزيبان تحتمي بواحات النخيل و تمتد أفقياً وفقاً للأرضية.



صورة ٤ واحات الزاب الضهراوي أولاد جلال.  
المصدر: سمية بوزاهر خلال خرجات علمية مع الطلبة.

مواد البناء مختلفة، في الجنوب يستعملون الطين كمادة بناء في حين في الشمال يستعملون الحجارة أما العنصر المشترك في البناء هو النخيل. تختلف كذلك نمطية الفتحات و الواجهات العمرانية رغم اتفاقها في صفة واجهات صماء. من المهم كذلك الإشارة إلى مجموعة أخرى من المناظر الطبيعية المقدمة وهي المناظر الفلاحية التي تظهر خاصة في الزاب الشرقي حيث يتبعها نسيج عمراني متناثر. ثم المناظر العمرانية التي تدخل التوسعات العمرانية الجديدة. الينابيع المائية و شبكات المياه و البحيرات الموسمية ترافق و تساهم في هيكله المسارات السياحية المقترحة. و يجب

أن نشير إلى وجود نوعان من السياح فمنهم من يرتاح ويكتمل نفسيا في المناظر الطبيعية المنفتحة وهناك من يرتاح ويكتمل نفسيا في المناظر الطبيعية المؤطرة والمنغلقة والزيبان ترضي كلا الذوقان.

## الخاتمة والتوصيات:

في إطار ترقية أنويه القديمة ذات القيمة العمرانية والتاريخية والبيئية بالصحراء الجزائرية عامة ومنطقة الزيبان خاصة.

- تعتمد مبدأ المقاربة ترميمية المتوافقة التي تعتمد على التصالح مع البيئة الطبيعية واحترام عناصرها التي شكلت توازنا بيئيا منذ الأمد البعيد.

نقترح الاعتماد على تحقيق بمفهوم الوظيفية التي تجعل كل المراكز والأنوية العتيقة تتكامل فيما بينها لتحقيق مفهوم التنمية المستدامة.

- إدخال مفهوم التنمية القاعدية التي تعتمد أساسا على تنشيط الحركة الداخلية بالأنوية العمرانية وذلك بخلق وحدات إنتاج تقليدية لتأمين الحرف المحلية.

- تهيئة غابات النخيل على شكل مسارات سياحية وإدخال مفهوم تملك المنتج الفصلي للسائح الذي يهيئ له بيوت عتيقة داخل غابات النخيل وبطرق تقليدية ليكتشف طبيعة الحياة المحلية وتمكننا من إبراز القيمة الجمالية لها وإبراز المهارات المحلية.

- تشجيع التظاهرات الثقافية والخارجيات السياحية الموجهة للمناطق والمرافق ذات القيمة الدينية والتاريخية والبيئية.

- الاعتماد على مبدأ التعمير المتكامل للصحراء، وجعل منطقة الزيبان متوافقة ومبدأ الجزء من الكل دون إحداث إختلالات وظيفية أو هيكلية بهذا النظام التعميري وعليه تتم عملية التعمير بطريقة هيكلية عضوية مع الإدماج المرحلي لعناصر جديدة دون المساس بالتوازن الإيكولوجي والوظيفي الذي تعرفه هذه الأنوية بل نحاول من خلال هذه العملية إبراز مفهوم التنمية المستدامة التي تعتمد على الحركة المحلية.

- الحفاظ على مفهوم الحركة العمرانية التي تعتمد على السياحة والفلاحة كشعاع لتوجه إلى التنمية المحلية.

## المراجع العلمية

- Aboubacar, I, 2006. In Le tourisme saharien et la problématique de l'environnement In. La cultura del oasis, Colloque international oasis et tourisme durable, Elche (Espagne) 153-156.

- Alkama Djamel, (avril, 2006) Pour Une Nouvelle Approche D'urbanisation Dans Les Zones Arides Cas Du Bas Sahara « Les Ziban, le Souf et le Oued Righ » thèse de doctorat soutenue à l'université Mohamed Kheider à Biskra.

- Avant propos de Claudie Voisenat et Patrice Nottoghem: «Paysage pluriel, pour une approche ethnologique des paysages», ouvrage collectif, collection «Ethnologie de la France», Cahier n°: 09, Ed., de la Maison des Sciences de l'homme.

- Claude COURNOYER, 2004, pp5, le paysage de l'oasis dans le sud du Maroc. Université de Montréal, Chaire unesco, www.unesco-paysage.umontreal.ca



- CÔTEM. 1979. Mutations rurales en Algérie, le cas des hautes plaines de l'Est. Alger : OPU.
- DÉCLARATION DE QUÉBEC, le 1er novembre 2003.
- Direction des forêts, 2006.
- Direction du transport, 2006.
- Direction de la Population et de l'Aménagement du Territoire, 2006.
- In Ecologie Politique, 1995
- Jenny Quillien, Avril 2008, Unfolding: A New Methodology. In Troisième Conférence à Biskra sur l'Architecture et la Durabilité (BASC 2008) « Stratégies et Perspectives » (Algeria) pp193-202
- Gabriel WACKERMANN, (2005), Ville et environnement. Ed. Ellipses pp.179-203.
- Léon l'africain, 1977. Histoire des villes africaines, SNED, Alger.
- Monographie de la Wilaya de Biskra, 2007.
- Nadia BENYAHIA, Karim ZEIN, 2003. In Contribution spéciale de Sustainable Business Associates (Suisse) à l'atelier « Pollution and Development issues in the Mediterranean Basin » du 28 janvier 2003 dans le cadre de la 2ème Conférence Internationale Swiss Environmental Solutions for Emerging Countries (SESEC II) du 28-29 janvier 2003 à Lausanne, Suisse. Site Internet : <http://sba.hello.to>
- Colonel Niox , 1890. Géographie militaire Algérie & Tunisie 2ième édition, Région de l'est provence de Constantine, Décembre 2005 ,pp 38-39
- Organisation mondiale du tourisme, Développement durable du tourisme dans les déserts – Lignes directrices à l'intention des décideurs, OMT, Madrid. 2006 ISBN-13 : 978-92-844-1192-4
- OMT-PNUE, Document conceptuel, Année Internationale de l'Ecotourisme 2002 Site Internet: <http://www.world-tourism.org/sustainable/fr/ecotourisme/doc-omt-pnue.htm>
- Soumia BouzaherLalouani, Mai 2008 Les Circuits Touristiques Comme Instrument D'intégration et de Préservation du Patrimoine Bâti des Tissus Anciens. Le Cas du Patrimoine Ksourien de La Micro Région des Ziban. In la conférence internationale sur la médina Tissu urbain à sauvegarder
- Soumia BouzaherLalouani, July 2008 Return to palm plantation of Ziban as Element of sustainable urban organization. In INTERNATIONAL SEMINAR ON SUSTAINABLE BUILDING DESIGN "SBD08" at Community Technical Housing Services Association "COMTECHSA" 60 Duke Street Liverpool, U.K.
- Site <http://fr.wikipedia.org>





# **The Role of Ecotourism as instrument of Revitalization and conservation of Architectural Heritage: Case Study the Towers of Ziban Region**

**Dr. Algama Jamal**

Institute of Architectural Engineering  
Mohamed Khayder University  
Baskra, Algeria  
e.mail: dj.alkama@voila.fr

**Buzahir Samaya**

Institute of Architectural Engineering  
Mohamed Khayder University  
Baskra, Algeria  
e.mail: lalouanisoumia@yahoo.fr

## **Abstract**

This paper is a contribution towards the introducing of tourism as original motor in association by other factor, to protect desert fragile ecosystems in Algeria generally and in Ziban specially. The first part of the work will approach the most important concepts of a Saharan ecotourism after we approach characteristics and foundations of a Saharan ecotourism.

In a second part we introduce microphone region of Ziban and the characteristics as well as the most important human establishments which constitute it, we loosen by the analysis the elements which made the durability of its town planning.

Finally we present tourism as instrument of revitalization of the local architecture of Ziban, it will be followed by theoretical and practical recommendations.

